لا عجب ... فقد حدث

- لماذا وافق الطبيب الكبير على إجهاض بنت أستاذ الجامعة؟!.
- أكذوبة ... لست من ذلك النوع من الفتيات!
- بعدتْ عن ربى فسقطت فى الخطيئة.
- تتزوجه وهى تعلم أنه سيموت فى اليوم نفسه!
- أنا فى ورطة كبيرة .. ماذا أفعل؟
- حفظ عشرة أجزاء من القرآن... مهر العروس.
- خدعنى ليغتصبنى.
- درس لكل فتاة تطاوع ضعفها الغريزى.
- بعد سبع سنوات طلّق بهدوء زوجته العذراء.
- كيف تستطيع الفتاة الإفصاح عن عواطفها؟
- ..... وحكايات أخرى.

لماذا وافق الطبيب الكبير.. على إجهاض بنت أستاذ الجامعة؟

تعجبت الممرضة من طلب الفتاة، وتحيرت فى أمرها .. كل الناس تدفع لها "المعلوم" مقابل عرضهم على الطبيب قبل الآخرين، إلا هذه المريضة التى اشترطت وهى تعطيها "البقشيش" السَّخِى أن تكون آخر من يراها الطبيب قبل أن يغادر العيادة، وعندما حان وقتها دخلت وجلست صامتة برهة لا تجد ما تقوله .. ونفد صبر الطبيب، ومَلَّ انتظارها، فصارحها بأنه يعانى من شدة الإرهاق.

وبعد تردد انطلقت الدموع من عينيها الجميلتين ... اندهش الطبيب وَرَقَّ قلبه، فقام يُواسيها ويلاطفها حتى توقفت عن البكاء.

وبعد محاولات عديدة تكلمت بكل هدوء وغموض فقالت:

"دكتور أنا ... أنا ... أنا حامل فى الشهر الرابع وعاوزة حضرتك تعمل لى عملية إجهاض".

وما إنْ سمع الطبيب ذلك حتى انتفض ناهضًا والغضب الشديد يحتل بسرعة ملامح وجهه ونظراته تتجه نحو الباب قائلاً: "حضرتك غلطتِ فى العنوان"... وبكل ثبات أو يأس ـ الله أعلم ـ اقتربت منه الفتاة قائلة:

"أنا اُغْتُصِبْتُ، ولو لم يتم إجهاضى حاموت نفسى".

رد الطبيب: "ليه مش عاوزة تفهمى .. اللعبة دى مش لعبتى .. مش بتاعتى .. إزاى أكون أول طبيب يهاجم الإجهاض وأعمله بإيدى؟"

فأخذتْ تلح عليه الفتاة وهى تقول: "أنا ظروفى صعبة قوى يا دكتور .. اسمعنى وبعدين أحكم".

فصمت الطبيب مُذْعنًا لرغبتها فى أن يسمعها، فقالت له:

"قَدَرِى هوه اللى أَتَى بى لحد هنا .. اللى فى بطنى جاء غصبًا عنى .. بالاغتصاب .. أنا اسمى ريهام .. عمرى عشرين سنة، والدى أستاذ فى كلية الهندسة، شخصية معروفة ولها وزنها فى المجتمع، وهو رجل طيب ومتدين، قد ربانى أحسن تربية يادكتور..."

فغر الطبيب فاه مندهشًا وهو يقول: "عرفته يابنتى .. والدك رجل محترم بمعنى الكلمة مش بس كده .. ده اترشح مرتين لمنصب الوزير".

ثم صمت فى ذهول وهو يسألها: "إزاى ده حصل لك؟".

فقالت له: "لا تستعجل من فضلك، اتركنى أكمل لك ذكر بقية أفراد أسرتى، فوالدتى أستاذة علم نفس بجامعة القاهرة وهى .... ولها نشاط كبير فى خدمة المجتمع والمرأة .. ونحن بنتان وولدان، البنت الكبيرة تخرجت من كلية الطب وتعمل مدرسًا مساعدًا فى الكلية، وتزوجت من رجل أعمال كبير، والبنت الأخرى هى أنا، وأدرس حاليًا فى كلية السياحة، وشقيقى الكبير تخرج فى كلية الهندسة، وحاليًا يحضِّر ماجستير، وشقيقى الصغير فى نهائى طب".

فهز الطبيب رأسه متعجبًا وهو يقول لها: "بسم الله ماشاء الله .. إنتو عيلة كبيرة تشرف".

نظرت إليه الفتاة وهى تتنهد قائلة:

"نسيت أن أقول لك إننى فى سنة ثالثة فى كلية السياحة، طول عمرى الأولى على دفعتى، والسنة الماضية انتخبونى الطالبة المثالية عا الكلية".

انفرجت أسارير الطبيب عجبًا وهو يقول لها: "حاجة تفرَّح".

فقالت له: "كيف يادكتور؟ .. ولا تفرَّح ولا حاجة .. لقد نلت جائزة كانت شؤمًا علىَّ!".

سألها الطبيب: "إزاى؟".

فتنهدت بحرقة أكثر وهى تقول فى سخرية:

مكافأة لى قررت الكلية تنظيم رحلة مجانية بالطائرة والإقامة .. وفين؟ .. فى الأقصر وأسوان .. ليلتها الأسرة كلها اعترضت، فهى أسرة محافظة متدينة، والتقاليد تمنع أن البنت تنام خارج البيت، حتى لو كانت تحت إشراف الكلية .. وما كان مِنّى إلا أن أبلغتُ قرار الأسرة ـ بعدم اشتراكى فى هذه الرحلة ـ لعميد الكلية، الذى اتصل على الفور وتحدَّث مع بابا وماما، وأخبرهم أن سفرى ده مسئولية شخصية يتحملها بنفسه، فوافقوا على السفر.

وفى الطائرة قَعد جنبى شاب فى منتهى الأدب والوقار والذوق .. عرفنى بنفسه بأنه الطالب المثالى على الجامعة الأمريكية ـ طبعًا عرفتُ فيما بعد أنه كذاب ـ إلا أن تصرفاته كانت تنطق بالمثالية .. كلامه .. طموحاته .. بصراحة كان قادرًا أن يسرق قلب وعقل أى بنت .

وتوطدت العلاقة بينه وبينى أثناء الرحلة، وشجعنى على ذلك أنه كان فى منتهى الذكاء .. فهمنى بسرعة، وابتعد عن أى حاجة ممكن تجرحنى أو تحرجنى، لدرجة أننى أعطيته الأمان، وسمحتُ له أن يكون المرافق الوحيد لى إن جاز التعبير".

ثم صَمَتَتْ برهة لتبتلع ريقها الذى جَفَّ حُرْقَةً لتستكمل حكايتها فتقول:

"وآخر ليلة فى الرحلة .. كنتُ فى منتهى السعادة والمتعة من اللى رأيته من حضارة وتاريخ أجدادٍ فى منتهى العظمة .. وهو كان يشاركنى الرأى فى كل حاجة، والشعور كمان، لدرجة لما قلت له الواحد صعبان عليه يروح ينام ويسيب النيل الخرافى ده .. قال لى: ومين سِمعك .. أنا كمان مش جاى لى نوم .. بس الدنيا برد وأنت لابسة خفيف والوقت اتأخر قوى .. إيه رأيك تطلعى حجرتك وتلبسى حاجة ثقيلة وتيجى نكمل السهرة .. لقيت كلامه معقول .. وطلعنا فى الأسانسير ووصلنا لحد حجرتى .. فتحت الباب .. وفى أقل من ثانية دفعنى داخل الحجرة وكتم فمى وبقدمه قفل الباب ورفعنى ورمانى على السرير وهو فوقى .. وضربنى على وجهى ووضع مطواة على رقبتى مهددًا لى، وهو يهمس فى أذنى: نفسى أعمل معاك جنس حتى ولو أنت ميتة .. فلم أجد نفسى إلا وجسدى يرتعش خوفًا منه، فلم أستطع مقاومته، وعينيه زى النار، وسن المطواة على رقبتى، كنت وقتها مثل تمثال شمع فى يد حداد مثل الطور .....

نعم وجدتُ نفسى عاجزة تمامًا بعد أن جردنى تمامًا من ثيابى .. ولما انتهى من فعلته ضحك زى الشيطان وهو يقول ":كفاية عليكِ كده" .. وانصرف، فى حين ظللتُ منهارة حتى أذان الفجر .. وبعد الأذان أحكمتُ غَلْقَ باب حجرتى ودخلتُ الحمام للاستحمام وأنا مازلت أبكى، فصورته القبيحة لم تغادرنى ..

وعندما حان موعد العودة تركت الفندق متجهة إلى المطار وحدى، وأنا مازلت مرتعدة، أحاول أن أبدو فى صورة طبيعية، وفكرت لو قدمت بلاغًا للشرطة حا أقول إيه؟... وخصوصًا أنه قد غادر الفندق من ساعتها وهرب ..

لقد شعرت أن فكرى وعقلى قد تجمَّد وضاع منى مثل ما ضاع شرفى ...".

ثم أخذت الفتاة تبكى فى هستيريا وهى تصرخ: "أنا انتهيت، نفسى أموت يا دكتور .. قول لى أعمل إيه؟".

وأخذ الطبيب يحاول تهدئتها وهو يكرر قولته : "أنا دكتور كبير وسمعتى أكبر منى، لا أستطيع أن أخسرها فى آخر عمرى .. لا أستطيع أن أقوم بعملية إجهاضك...".

فنظرت إليه الفتاة بحدَّة قائلة : "لا، حتقدر يا دكتور"

فصرخ الطبيب فى وجهها : "ليه أنا بالذات؟!".

فصمتتْ طويلاً ثم اندفعت صارخة: "لأن الذى اغتصبنى هو ابنك يا دكتور!! نعم .. لقد عرفتُ أنه ابنك".

وصمت الطبيب الكبير، ثم قال لها بنبرة صوت هادئة منهزمة: "تعالى غدًا الساعة التاسعة والنصف .. بعد أن يغادر العيادة أخر مريض!".

هذه حكاية نستعرضها أمام كل فتاة لتتمعن فى ملابساتها، ولتدرك كيفية الحذر والاحتياط، حتى ولو تراءت لها كل أسباب الأمان، فما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما.

❑ ❑ ❑

أكذوبة .. "لست من ذلك النوع من الفتيات!":

إن كثيرًا من الفتيات يجهلن أكثر الحقائق عن أُنوثتهن، التى هى محور حياتهن فى الحاضر والمستقبل، ومن ثم يمكن أن يؤدى ذلك إلى عواقب وخيمة، كما تروى لنا الدكتورة "ماريون هيلارد" رئيسة قسم النساء والولادة بجامعة "تورنتو" فتقول:

"جاءت إلى مكتبى إحدى المدرسات، وهى فتاة هادئة، رزينة، لم تتزوج بعد، وكانت تشكو من الصداع والأَرَق .....

وتحدثت، فدارت حول الموضوع ولم تُفصح عن تفاصيله، وإنما أخذت تشير إلى شاب كانت تصادقه أخيرًا ... وفجأة كَفَّتْ عن مواصلة الحديث، فى حين سرحت بى خواطرى بعيدًا، وقد تضايقتْ نفسى بعد مُضِىّ بضع دقائق لم أسمع خلالها كلمة واحدة، ولكنى أردتُ أن أستدرجها... فقلت: حسنًا ... وبعد ذلك طلب منكِ أن تصحبيه إلى مسكنه، فماذا كان جوابك؟... عندئذ تملكتها الدهشة، وفغرت فمها قائلة:

كيف عرفتِ ذلك؟! .. لقد كنتُ بالفعل على وشك أن أقول لك هذا!!

فابتسمتُ لها وأنا أتمتم قائلة: ولكننى عرفت ...

لأنى كثيرًا ما سمعتُ أمثال هذه الحكاية فى صُوَرٍ مختلفة خلال العشرين عامًا التى زاولتُ فيها مهنة الطب ... وكانت هذه الصور تنتهى إلى نتيجة واحدة، فمهما تختلف الروايات والحكايات ـ وسواء كن فتيات لم يبلغن سن الرشد، أو من اللاتى فاتهن قطار الزواج، وسواء كن جميلات فاتنات، أو فتيات عاديات، أو دون ذلك ـ فإن هذه الدعوة المشبوهة المحتومة تواجههن جميعًا من وقتٍ لآخر.

كما أن هذه الدعوة قد تُعَدُّ أمرًا غريبًا بالنسبة للفتاة، تنظر إليه على أنه تطور يبعث على الدهشة .. فكل فتاة تقول لنفسها ـ أو لمن يُوَجّهُ إليها مثل هذه الدعوة: "لست من ذلك النوع من الفتيات".

وهذا هراء ... اللهم إلا بالنسبة لِقِلّة قليلة من الفتيات، أو النساء عمومًا، اللاتى قد وصلت حيوية الوظائف البيولوجية فى أجسامهن إلى درجة بالغة الانخفاض ..

فالواقع العام ـ أو القاعدة العامة ـ أن كل فتاة من ذلك النوع من الفتيات، وكل امرأة من أولئك النساء، قد تراودها فكرة ارتكاب هذا الخطأ، يحدوها فى ذلك التهوين من مقدرتها الحيوية، والاعتقاد بعدم سرعة الاستجابة لمثل هذا السلوك الشائن.

إن الفتاة أو المرأة عمومًا تجهل أن الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ قد زَوَّدَهَا بنوع خاص من الغدد، والسلوكيات، والرائحة الفواحة التى تجعلها مُشْتَهاةً من الرجال[1].

ومع ذلك فإن نوبة من العجب البرىء والاستغراب يعتريها عندما تؤدى تلك القوى الحيوية فى جسمها وظيفتها.

ثم تصمت الدكتورة "ماريون" برهة لتستطرد بعدها قائلة:

يُخَيَّلُ لبعض الفتيات والنساء أن أُنوثتهن معناها أن تكون الواحدة منهن متمثلة سلوكيات الرقة والنعومة، والدلال والميوعة، مثل الصراخ لدى رؤية الفئران، أو الضعف عن حمل بعض الأشياء الثقيلة، أو ما شابه ذلك من تصرفات وأفعال ... والواقع ـ كما يخبرنا الطب ـ أن الأُنوثة متوحشة، بمعنى أن الأُنثى مزودة بجهاز تناسلى يسيطر على كيانها، وهو جهاز ذو قوة مدمرة، تستطيع أن تحطم القيود والأغلال دون أى نذير، من ذلك مثلا عندما يشترك رجل وامرأة فى ضحكة خفية ذات دلالة فاضحة، أو عندما تتلامس يداهما ... إن هذا الجهاز الحيوى يمكن أن يبلغ أوج انفعاله، إذا ما أثاره فجأة أنين خافت من مشاعر وأحاسيس جياشة فى ليلة صيف قائظ رُصِّعَتْ بالنجوم، أو عند شرودها عند رؤية ضباب متكاثف حول مصباح الشارع، عندئذ تحس الفتاة أو المرأة ـ على الرغم منها ـ بشىء يعصف بكيانها الداخلى، فيملؤها بتباريح الشوق والرغبات المكبوتة.

إنها غريزة الجنس فى المرأة، التى قد تضفى عليها البهاء والجمال، ومظاهر الرومانسية والرقة، والعطف والحنان .. بل هى جزء من عاطفة الشفقة التى تحس بها الأنثى، عندما تشاهد حيوانًا يقاسى العذاب والألم ـ كما قال بعض علماء النفس.

---

(١) وذلك يذكرنا بقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٤]

وهكذا أخذت الدكتورة "ماريون" طابع المصارحة والمكاشفة الجريئة لكى تنبه بنات جنسها عَمَّا يمكن أن يحدث لهن من مآسٍ وحوادث دامية إذا لم تأخذ حذرها، فعاودت حديثها الصريح، وهى تقول:

عندما كنتُ طبيبة ناشئة، كان علىَّ أن أهتم بأولئك الفتيات، والمتزوجات اللاتى يوشكن أن يصبحن أُمهات، فكنت أسأل بعض أولئك الفتيات ممن تميزن بالذكاء والحس المرهف:

كيف أمكن أن يُغَرَّر بكِ؟ .... فكانت الفتاة تجيبنى فى حيرة وندم: لم أستطع أن أضبط نفسى، على الرغم أننى كنت ممن لا أستطيع أن أصدق ذلك، فقد كنت أقول لنفسى: إنَّ فى وسع المرأة أن تضبط نفسها وعواطفها المتأججة مع الرجل، فإذا اكتسحت حدودها المرسومة فليس ذلك إلا لأن المرأة رغبت فى ذلك، بل رَحَّبَتْ به.

أما الآن ... فأنا أعقل أن هناك فى العلاقة بين الرجل والمرأة لحظة، لا يمكن أن يتحكم الإنسان أثناءها فى عواطفه أو يسيطر عليها، ومن ثم يضيع شرف المرأة إلى الأبد.

وهنا تعقب الدكتورة "ماريون" بقولها:

إن خط دفاع المرأة الأول ضد أى خديعة عاطفية هو أن تدرك أن فوران العاطفة ليس أمرًا ممكنًا فحسب، بل هو أيضًا أمر طبيعى وعادى، ولذا.. فإن خير وسيلة تدافع بها المرأة عن نفسها هى ألاَّ تثق بمقدرتها على أن تقول "لا" فى اللحظة الحاسمة، فإن الاعتقاد بأن فى وسع المرأة أن توقف المخادنة عندما يصل الغَزَل إلى اللحظة التى تحتشد فيها عاطفة المرأة احتشادًا كاملاً ... هذا الاعتقاد ليس إلا كمينًا تتردى فيه المرأة، وهو كمين من صُنع الشعراء والخياليين.

ولهذا السبب عينه، ينبغى للفتيات والنساء أن يَقِينَ أنفسهن بالتمسك دائمًا بمستوى من الأخلاق والسلوك، والذى قد يبدو نادرًا وغير مألوف بعيدًا عن الحرية التى تتمتع بها الفتاة العصرية، التى ليست سوى وَهْم، يكفى أنها لا تتيح للفتاة العصرية أية فرصة لاختيارٍ حُرٍّ يرضى به دينها ومجتمعها. ولذلك تفشل زيجات كثيرة

بعدت عن الإطار السليم فى الاختيار، مكتفية بمزاعم الحب الذى يربط بين قلبين، ولا شىء يهم بعد ذلك!!

.....

ثم تطرقت الدكتورة "ماريون" إلى موضوع زوجة استودعت زوجها لدى صديقتها عندما ذهبت لمستشفى الولادة بالجامعة لتضع طفلها الثانى، وأخبرتها[1] أن صديقتها تلك تعد من أفضل صديقاتها، يكفى أنها قد حصلت على إجازة مدتها أسبوعان للعناية بطفلها الأول فى المنزل، وإعداد الطعام لزوجها، وما يستلزمه من متطلبات معيشية.. ثم لم تلبث أن انهارت فى بكاء مرير، وهى تجهش قائلة:

"لم أستطع أن أُصدق أن خير صديقاتى يمكن أن تغتصب زوجى منى".

عندئذ قلت لها ـ والكلام للدكتورة ماريون ـ إننى كطبيبة لا أعتقد بإمكان وجود شىء من العلاقة الأفلاطونية بين رجل وامرأة، يختليان معًا كثيرًا من الوقت فى موقف تسوده العلاقة الحميمة.. لقد أمضيت أغلب أوقات عملى بين نساء لم يتزوجن، وكثيرًا ما كان أولئك النسوة يسألننى: ماذا نفعل بغرائزنا الجنسية؟

وهذا سؤال مضحك، شبيه بمن يسأل: ماذا يفعل برئتيه ... إن الغريزة الجنسية فى المرأة جزء طبيعى من تكوين المرأة وهو ضرورى لها، كما أن الأوكسجين ضرورى للتنفس، فالمرأة تنتفع بهذه الرغبة الجنسية، وتستخدمها استخدامًا صحيحًا لإخصاب حياتها وإنعاشها.

أما الانغماس فى العلاقة الجنسية، فليس حلاً .. ولقد أخبرتنى يومًا إحدى مريضاتى بصراحة مطلقة أنها تفكر جديًّا فى ممارسة العلاقة الجنسية مع شخصٍ مَّا .. ولقد حاولتُ أن أشرح لها معنى هذا المسلك القبيح، فقالت لى: ليس بالمعنى الذى تفهمينه .. إنه سيتزوجنى زواجًا سِرِّيًّا، لأنه متزوج من أخرى، ولا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك، وبصراحة، إننى فى أشد الاحتياج إليه، يكفى أنه سيروى لى ظمئى الجنسى بدلاً من أن أنحرف إلى الرذيلة.

---

(١) أى أخبرت الدكتورة "ماريون".

فقلت لها : إن ذلك معناه أن تكونى زوجة فى الخفاء مع وجود زوجة حقيقية أخرى ذات أطفالٍ وتحظى باحترام المجتمع ـ ثم إن مثل هذا الزواج له مخاطر غير مأمونة يعرفها الجميع ولا داعى لتكرارها.

ولم تـــتجبْ مريضتى لكلامى، فقد عقدتِ العَزْمَ على تنفيذ قرارها ... وحيال ذلك طلبتُ منها أن تزورنى بعد ثلاث سنوات، بعد أن تكون تلك العلاقة قد وصلت إلى نهايتها كما توقعت.

وبالفعل عادت إلىَّ بعد نحو ثلاث سنوات، ولكنها عادت بعد أن جَفَّتْ وصارت منهكة القوى بلا إرادة ... لقد انتهت ملاَذُّ العلاقة الجنسية، وتدفع الآن ثمنها الباهظ، وتخلى عنها كل من تعرفه من الأقارب والصديقات، فأصبحوا غرباء بالنسبة لها.

ثم تعقب الدكتورة "ماريون" فى تساؤل: ماذا لو استخدمت المرأة طاقتها الحيوية فى مساعدة نفسها وغيرها، وفى بذل معونتها للآخرين الذين يحتاجون إلى حنانها وعطفها؟! ... إنها ستكون حياة خصبة ثرية مجزية .. ومهما يكن من أمر، فإن الطاقة الحيوية لدى المرأة يمكن أن تكون قوة مضيئة باهرة الجمال(*).

❑ ❑ ❑

بعدتُ عن ربى فسقطتُ فى الخطيئة:

فتاة لم يتجاوز عمرها العشرين عامًا، مرت بتجربة أليمة، حيث سقطتْ فى بئر الخطيئة، تلك البئر التى بلا قرار، تتجرع آلام الذل والندم .. اعترفت لى قائلة:

أصبحتُ رغم حداثة سنى خبيرة بالحياة والجنس، ولذا، فإننى يمكننى أن أُسْدِى النصح لصديقاتى وغيرهن من الفتيات، فَأُحَذِّرُهُنَّ من ملامسة الرجال، حيث أخشى أن يصيب واحدة منهن مثل الذى أصابنى .. فقد ذُقْتُ آلامَ الحمل والإجهاض، وذقتُ الهَوى والذُّلَّ والهوان، وإنْ لم أتزوج زواجًا شرعيًّا.

(*) فضل تربية البنات فى الإسلام: محمد على قطب (بتصرف).

نعم ـ أحببتُ شابًّا، توهمتُ فيه أنه فارس الأحلام الذى أتمناه فى أحلامى، وتوطدت علاقتى به، ولكن سرعان ما أصبح تلاقينا مصدرَ ألمٍ وعذاب لكلٍّ منا، وكلما أراد أن يقطع علاقته بى بكيت وتوسلت له بأننى امرأة لا سَنَدَ لى فى الحياة سواه.

وذات يوم اختلفنا كالعادة، أو على الأصح تشاجرنا دون سبب معقول، وإذا به يصيح فى وجهى: "ابعدى عنى .. ما شأنى بكِ؟ ـ لستُ مسئولاً عَمّاَ حدثَ لكِ ـ فما مسستُكِ يومًا، ولعلك حملت من رجل غيرى!

عندئذ وجدتُ نفسى تتوه فى دوامات من الذهول، فأنا لا أصدق ما أسمعه منه، وأُرَدّدُ مع نفسى ـ حتى هو يشك فى سلوكى؟!

وأدركت ـ فى لحظتها ـ أن من الخير لنا أن نفترق ... نعم نفترق إلى الأبد، فلن نسعد فى حب ولا فى زواج.

وافترقنا، وأخذتُ نفسى بالجدّ والاجتهاد حتى أتممتُ دراستى، والتحقت بعمل يكفينى دخله مذلّة السؤال، ومذلة الاعتماد على الأهل أو الزوج، فقد أصبحت حرة اقتصاديًّا، وإنْ كنتُ سجينة هذا الماضى، فمازلت أُحب فَتَايَ، وأظنه يحبنى، لكننا لن نتزوج!

نعم... لن أتزوج غيره... لن أخدع رجلاً آخر، وأزعم له أننى عذراء، وإن يسَّر لى الطب مثل هذه الخديعة... ولن أصارح أحدًا بسرى، فمن يرضى بحطام فتاة وبقايا عذراء؟!

إننى لا أريد إلا أن أعرف من المسئول عَمَّا حدث لى .. أَهُمْ أهلى الذين قَصَّرُوا فى تبصيرى بما يمكن أن تتعرض له الفتاة ؟ ...

أهى المدرسة وبرامجها الناقصة ونُظُمها الجامدة؟ .. أهو فتايَ الذى بادلتُه ـ ومازلت أبادله ـ حُبًّا قويًّا عارمًا؟ ... أهى التقاليد التى تقف بيننا فتثيرنى عليه، وتثيره علىَّ كلما اجتمعنا رغم ما بيننا من حب؟

لا ... إن كل ما أستشعره أننى قد بَعُدْتُ عن ربى والالتزام بطاعته فَحَدَثَ لى ما حَدَث.. يكفى أننى لا أداوِمُ على الصلاة، فصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (*).

❖ ❖ ❖

تتزوجه وهى تعلم أنه سيموت فى اليوم نفسه!:

هل تقبل فتاة أن تتزوج رجلاً فى الصباح، وهى تعلم أنه سيموت فى المساء؟! ..... هل ترضى فتاة أن ترتدى ثوب الزفاف فى اليوم نفسه الذى سترتدى فيه ثوب الحداد؟! ....

هل تساوى ابتسامة فى وجه ميت أن تضحى فتاة بجمال الزواج الأول وبهجته لتصبح بعد بضع ساعات زوجة لرجل ميت، ولا يتقدم لزواجها بعد ذلك إلا الذين لم يجدوا لهم مكانًا فى سوق العذارى فيتجهون إلى الأرامل؟!

إن "شيلياوات" فتاة تبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا، فعلت هذا ... لقد أَحَبَّتْ شابًّا إنجليزيا اسمه "أندرو"، لا يملك إلا راتبه الشهرى الهزيل ـ واتفقا على الزواج، ولكنه أُصيب بانهيار صحى مفاجىء، وقرر الأطباء أنه سيموت خلال ساعات.

كان الشاب يصيح فى فراشه : "أريد أن أتزوج "شيلياوات" وأموت"..... واتصل الأطباء بـ"شيلياوات" وأخبروها أن الشاب الذى تحبه سيموت فى خلال ساعات وهو لا يعرف ذلك .. وسألوها : "هل يمكن أن تتزوجيه قبل أن يموت؟"، وهم يعلمون جيدًا أنها سترفض، لكنَّ الفتاة سألت الأطباء: وهل ينقذه الزواج من الموت؟

فقال الأطباء : لن تنقذه إلا معجزة، ولكنه سيموت سعيدًا.

عندئذ قالت الفتاة: إذًا سأتزوجه.

وبالفعل تم عقد الزواج، وقَبَّلَتِ الفتاة "شيلياوات" زوجها القُبلة الأولى والأخيرة ..... ثم ذهب فى غيبوبة، وعلى شفتيه ابتسامة!

(*) سورة العنكبوت: ٤٥.

وبعد سبع ساعات من الزواج أسْلَمَ فتاها "العريس" الروح .. واجتمع الناس حولها يسألونها فى استغراب ودهشة: كيف فَعَلْتِ هذا؟ ...وكيف رَضِيتِ أن تصيرى أرملة بعد ساعات من الزواج؟

فقالت الفتاة: يكفى أننى جعلته يموت مبتسمًا!

❑ ❑ ❑

أنا فى ورطة كبيرة ماذا أفعل؟:

قالت:

أنا فتاة فى مقتبل العمر، تخرجتً فى إحدى الكليات الجامعية. ولى أب حنون وأُمٌّ مثالية ... تقدم لى شابٌّ أحببته وأحبنى، وبعد أن توثقت الصلة تم عقد القران، وأصبح يدخل بيتنا فى كل وقت .. وكان أهلى يسمحون لنا بالخلوة حتى تزداد الصلة بينى وبينه.

وتمر الأيام، وأصبح يحصل منى على أشياء لم يكن يحصل عليها، ولم تكن هناك مشكلة عندى لاقتراب موعد الزواج.

وفى إحدى المرات ـ ولظروف خارجة عن إرادتى ـ حدث ما كنت أحذر منه، ولم أخبر أحدًا بذلك. ولكن ـ وآهٍ من لكن! ـ دَبَّ خلافٌ بيننا لأسباب لا أدرى كيف تطورت، حتى وجدتُ نفسى مُطَلَّقَةً .. ولم يعرف بأمرى أحد ..

ومرت علىَّ فترة عصيبة، إلى أن تقدم إلىَّ شاب آخر، وتم عقد قرانى عليه .. وبالطبع تم تحرير العقد أنه لم يسبق لى الدخول .. أى مازلت بكرًا، فى حين قد فُضَّ غشاء بكارتى .. ولذا كلما اقترب موعد زواجى تذرعت بأسباب لتأجيله .. فأنا فى ورطة، ولا أدرى ماذا أفعل؟

وكان الرد:

عزيزتى:

لعل فى قصتك درسًا لكل فتاة تتساهل ـ هى أو أهلها ـ فى الضوابط التى يمكن أن تعقد الأمور فى مجتمعنا الذى يتعامل فيها بخصوصيات معروفة.

والخطأ هنا يتصل بالعُرْفِ ، فمن الناحية الشرعية كان بينكِ وبين الشاب الأول عقد زواج، والدخول ـ أى الزفاف ـ يخضع للعُرْفِ، وهو مُعْتَبَرٌ شرعًا، فليس هناك

حرج شرعى .. وكان عليكِ أن تذكرى ذلك عند حدوث الطلاق، لأن المأذون يسأل هل حدثت خلوة شرعية أم لا ولو قلت: نعم لَمَا وَقَعْتِ فى هذه الورطة.

ولذا، فإننى أرى أن تُخبرى والدتكِ بهذا الموضوع على أن تتعامل معه بهدوء وتخبر والدك .. وعليه أن يذهب ـ دون أن يُخبر أحدًا ـ إلى الشاب الجديد فيخبره بهذا الموضوع، ومن الأفضل أن يصحب معه أحد العلماء أو الدعاة، حتى يوفقه الله تعالى إلى أخذ القرار السليم غير المجحف[1].

❑ ❑ ❑

حفظ عشرة أجزاء من القرآن... مهر العروس:

لمواجهة مشكلة الغلاء فى المهور وافق مواطن عمانى على زواج ابنته، فى مقابل أن يحفظ العريس عشرة أجزاء من القرآن الكريم، تكون بمثابة المهر المسمى بينهما، كمقدم ومؤخر فى الوقت ذاته.

وقد علّق والد العروس على مطلبه هذا، بأن الشباب يقع فى براثن البنوك الربوية بعد الاستدانة لسداد تكاليف المهر والعُرْسِ، فيبدأ العروسان حياتهما بالديون، فتنقلب حياتهما من سكينة واطمئنان إلى قلق وهموم من جراء تلك الديون وكان ذلك ما دفعه إلى مطلبه هذا[2].

❑ ❑ ❑

خدعنى ليغتصبنى:

حدث أن ... أحالت إدارة حرس جامعة القاهرة أغرب مذكرة اغتصاب إلى قسم شرطة "العمرانية"، تضمنت اتهام الطالبة "س. ل . م" بالفرقة الأولى بكلية آداب القاهرة لزميلها طالب بالفرقة الثالثة بكلية الحقوق "أ . ف . ع" باغتصابها فى إحدى الشقق المفروشة بدائرة قسم العمرانية، حيث جاءت أقوال الطالبة فى أوراق القضية المرفوعة أنه أثناء جلوسها مع زميلها طالب الحقوق ـ الذى تربطها به علاقة عاطفية منذ فترة ـ انقطعت سلسلتها الذهبية، فطلبت من زميلها إصلاح السلسلة وإعادتها إليها.

---

(١) من باب لكل مشكلة حل، من صحيفة آفاق عربية، فى أحد أعدادها الأسبوعية.

(٢) صحيفة الأهرام ـ عدد ٣١/ ٣/ ٢٠٠١.

وفى اليوم التالى طلب منها الخروج معه من الجامعة لاسترداد السلسلة، وقام باصطحابها إلى إحدى الشقق المفروشة حيث اغتصبها بالقوة.

وعندما بكتْ وولولت جزعًا حَرَّرَ لها عقد زواج عُرْفيًّا، واستمر فى مسلكه معها طوال اليوم حتى سَئِمَها ومَزَّقَ العقد.

وفى اليوم التالى لعملية الاغتصاب تمكنت الطالبة من تسجيل شريط كاسيت له داخل أسوار الجامعة يثبت قضاءها ليلة كاملة معه ... وبمواجهة الطالب بشريط الكاسيت الذى قدمته الطالبة للنيابة، اعترف وطلب الزواج الشرعى منها، إلا أن الطالبة رفضت، فقررت النيابة حبسه على ذمة التحقيقات، مع مراعاة التجديد، وإحالة الطالبة إلى مصلحة الطب الشرعى لتحرير التقرير النهائى لعملية الاغتصاب.

.....

إننا نسوق تلك الواقعة لكل فتاة كى تأخذ حذرها فيما تقدم عليه من سلوك ترفضه الأخلاقيات الحميدة، فضلاً عن رفض تعاليم ديننا له.

❑ ❑ ❑

درس لكل فتاة تطاوع ضعفها الغريزى:

يحكى أن شابًّا أحب جارته الفتاة الحسناء .. همس فى أُذنها بكلمات الحب والهيام. توطدت علاقتهما فى الخفاء بعيدًا عن منطقة سكناهما ... وبعد مرور الأيام اختلى بها فى بيته، وهى فى نشوة من هذا اللقاء فأعطته نفسها جسدًا وروحًا.

وتمر سنوات ويخبراه والداه بأنهما قد خطبا له جارته هذه، وليس له أن يرفض، لأنها بنت شريفة، ذات أخلاق رفيعة سامية، وتنحدر من أصل طيب عريق، ويكفى أن سُمعتها وسمعة أُسرتها طيبة ... فأُصيب هذا الشاب بحالة ذهول وشرود وهو يسمع كلام والديه وهما يمدحان سلوك جارته الفتاة التى استسلمت له منقادة لغريزتها، لتشبع نزوة جارها التى تلاقت مع نزوتها.

وظل هكذا مصدومًا، وهو لم يستطع أن يتصور أنها تكون زوجته .. فقد كرهها ولم يعد يطيق رؤيتها ... فقد كان حلمه أن يعثر على فتاة طاهرة يبنى معها بيته على حُبٍّ نظيف .. وكان قراره رفض اختيار والديه، بعد أن فَضَّلَ قلبه معانى العفة والطهارة فيمن تتسم بهما.

❑ ❑ ❑

أين الخطأ؟:

حدث أن صحبت طالبة جامعية ـ تدرس بكلية الهندسة ـ خطيبها فى سيارته الخاصة.

وفى ظلام الليل أوقف الخطيب السيارة على جانب الطريق لأمرٍ مَّا .. وقد أثار منظر الخطيبين أربعة من الشباب، قد أغراهم الشيطان باقتحام خلوتهما، فحطموا زجاج السيارة واقتادوا الفتاة تحت تهديد السلاح .. وفى مكان بعيد تناوبوا اغتصابها فى شراسة ووحشية ثم احتبسوها لمدة يومين حتى أُغمى عليها، وأُصيبت برعشة جسدية، فألقوا بها بعيدًا، وفرُّوا هاربين.

وبعد أيام تمكن رجال الأمن من القبض على الجناة الأربعة الذين أدلوا فى التحقيقات التى أُجريت معهم، أنهم قد أثارهم منظر الخطيبين وهما يتبادلان الأحضان والقبلات المحمومة.

وبعد ثبوت الجريمة البشعة، قضت المحكمة بإعدامهم شنقًا ليكونوا عبرة لمن تُسَوّلُ له نفسه بالإقدام على مثل ذلك الصنيع الدنىء، غير أنه قد فَاتَ على المحكمة ـ فى تصورنا ـ أن تُصدر حكمًا على الخطيبين من جراء الإقدام على فعْلٍ يخدش الحياء فى طريق عام.

أجل .. إن المطلوب منا ـ كمجتمع له أعرافه وتقاليده ـ أن ، نأخذ موقفًا صارمًا تجاه الطالبة الجامعية وخطيبها المحترم وأسرتها المبجلة، ليرتدع بالقانون من لا يرتدع بالأخلاق والحياء.

❑ ❑ ❑

البيوت الجامعية :

حدثتنى فتاة جامعية فى ضيق وتأفف من ظروف سكناها فى أحد البيوت الجامعية فقالت:

إن طبيعة الحياة الجامعية ـ كما تعلم ـ تنعكس على سُلوك الطالبة فى علاقاتها مع الأسرة، أو الزميلات، أو المجتمع ككل ..

وعلى المستوى الشخصى هناك نوع من الملل والوحدة والرتابة يصيب الطالبة، ويصبح هدفها الوحيد هو الانتهاء من الدراسة، دون اهتمام بمعدل الدرجات، وهذا بسبب إثقال الطالبة بالأبحاث والامتحانات من جهة، ومن جهة أخرى عدم توافر أماكن التسلية والترفيه لقضاء بعض الوقت وإفراغ الشحنات الزائدة، التى كثيرًا ما تُسبب الضيق النفسى.

ثم إذا نظرنا إلى إقامة ثلاث طالبات فى غرفة واحدة، نجد أن ذلك يؤثر كثيرًا على المستوى الدراسى، أو بمعنى أدق: المستوى التحصيلى، مما تنعكس آثاره بالضرورة على الحالة النفسية، التى لها ظواهر كثيرة تدلل على ذلك .... فبعض الطالبات لا تتمكن من الاستذكار بصورة طيبة، حيث ينظرن إلى صفحات الكتاب لساعات دون القدرة على التركيز.

كما أن الحياة فى السكن الجامعى تبعث على الملل والرتابة، حيث لا يوجد أى تجديد ـ فى الحياة اليومية، حتى العطلة الأسبوعية تكون امتدادًا للمعاناة، إذْ تحرم الطالبة من الخروج والمبيت لدى أحد الأقارب إلا بتصريح خاص.. ولذا، ففى غالب الأحوال نشغل فى الدراسة يوم العطلة الأسبوعية.

ولا أريد أن أتحدث عن سلوكيات غير سليمة من بعض الطالبات أكثر من القول بأن الظروف مُهَيَّأةٌ لبروز سلوكيات خاطئة من أقلية، تنعكس آثارها السلبية على الأغلبية، بسبب اتخاذ قرارات أو أوامر قاسية من إدارة السكن الجامعى ضد الجميع، تحت ما يسمى بالتعليمات.

وفى الواقع إننى لا أعارض مثل هذه القرارات أو الأوامر، وخصوصًا أن السكن الجامعى يضم ثلاث فئات، هن: المسلمات المتدينات .. والمتحررات العابثات .. وبينهن فئة وسطى لا يمكنها الصمود، فإما أن يَملْنَ إلى التقليد، أو يقنعن بالوحدة والانعزال، وكل ما يترتب على ذلك من آثار نفسية واجتماعية معروفة لدينا.

.....

وبعد أن انتهت الفتاة من حديثها لم يكن لدىَّ تعقيب ـ بعد أن صورت بإيجاز الحياة فى السكن الجامعى ـ سوى القول بأن البيئة الطبيعية المتمثلة فى الأسرة والبيت

الذى يحويها، لا تكون كالسكن الذى يحوى فئاتٍ وطبقاتٍ شتى من طالبات يختلفن فى مستوياتهن الأخلاقية، وتنشئتهن فى نوعية متفاوتة من التربية والعادات، وحيال ذلك.. فإن الأمر يتطلب من الطالبة التميز بين ما هو سليم وما هو غير سليم فى التصرفات والسلوكيات، وهذا يتطلب من الطالبة أن تُمعن النظر عندما توطد علاقتها بزميلة من الزميلات، حتى لا يحسب عليها ما يبدر منها من أخطاء أو تصرفات غير لائقة، من جراء صداقتها بهذه الزميلة أو تلك.

أما من حيث الشعور بنوع من الملل والوحدة والرتابة، ففى اعتقادى أنه يمكن التغلب عليه بنوعيات من القراءة، وعلى رأسها كتاب الله تعالى، والكتب الدينية، أو الكتب الأدبية، أو الثقافية، وهى كثيرة جدًّا، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى يمكن مشاهدة التليفزيون والاستمتاع بأحد برامجه، أو مسلسلاته الهادفة .. ولا يفوتنى هنا أن أذكر أن هناك بعض الأنشطة الاجتماعية والترفيهية يمكن أن تستحوذ على جزء كبير من الطاقات، والتى يمكن أن نفرغ فيها شحنات الضيق والملل .. ثم لا ننسى الهدف الرئيسى وهو الاستذكار الجاد وما يستتبعه من أبحاث، يمكن أن يستغرق معظم الوقت إذا أردنا.

أما إذا نظرنا إلى ظروف إقامة ثلاث طالبات فى غرفة واحدة، وتاثير ذلك على المستوى الدراسى، فأنا أتفق معكِ فى ذلك، ولكن كما يُقال: ذلك هو المتاح، وما علينا إلا أن نتكيف قَدْرَ المستطاع بما تمليه علينا ظروفنا المادية.

❑ ❑ ❑

كيف يقوّى الإيمان من شخصية الفتاة؟:

عندما يتغلغل الإيمان فى النفس يثمر سلوكيات طيبة فى شخصية صاحبها .. من هذا المنطلق كان طبيعيًّا أَنْ رأينا طالبة حضرتْ حفلاً لتوزيع جوائز التفوق أُقيم للمتفوقات، وهى إحداهن ... لقد رفضت هذه الطالبة طلب مديرة المدرسة بخلع خمارها عندما تتسلم جائزتها من وكيل الوزارة، وأصرت على موقفها، وخرجت رافضة استلام جائزتها.

والشىء نفسه فعلته زميلة أخرى، رفضت أن تكون كبقية الطالبات حاسرة الرأس، فعندما قالت لها مديرة المدرسة:

هذه تقاليد المدرسة وتعاليمها.....

أجابتها الفتاة فى ثقة واعتداد:

ولكن تقاليد الإسلام وأوامر الله أولى بالاتباع والاحترام ...

فَبُهِتَتْ مديرة المدرسة واستسلمت، ولم تستطع أن تُعَقِّبَ على قولها.

.....

ومن تلك النماذج الطيبة أيضًا فتاة تعمل بالجمعية التعاونية للبترول بالقاهرة، وتحضر فى قاعة الجمعية لتلقى محاضراتها الدينية .. وقد خطبها إلى نفسه شاب، وسألها السؤال التقليدى عن "الشبكة" التى تختارها، فقالت: لا شىء أكثر من "دبلة الخطوبة" .. إن التى تطلب أساور من ذهب تطلبها لتكون زينة معصمها المكشوف للناس الغادية والرائحة، وأنا مسلمة لا يحلُّ أن يرى لحمى أحد، فإنِ اشتريت ـ كما تشترى الأُخريات أسَاوِرَ فما قيمتها؟!

إنها حلية يتزين بها اللحم الرخيص المكشوف للذباب البشرى، وليس لى لحم رخيص ينكشف لغير زوجى.

لقد وصل من ورع تلك الفتاة ـ كما حدثنى بعض أقاربها ـ أن تلبس نظارة تحجب جمال عينيها، وتقى الرائين شر سحرهما، حيث دفعها لذلك إيمانها بالخالق ـ جَلَّ وَعَلا ـ الذى خلقها فصورها فأحسن صورتها.

أجل ... إن الالتزام بمبدأ التمسك بالتعاليم والتوجيهات الإسلامية فى كل التصرفات الشخصية هو دليل واضح على قوة الإيمان، وصلابته فى نفس صاحبه.

إن الفتاة التى تغض طرفها، ولا تكشف عن شىء من مفاتنها لأحد، ولا تضع خمارها أو تكشف شعرها إلا أمام والديها وأشقائها وغيرهم ممن يجوز أن تلقاهم بلا حجاب .. قد عرفت طريقها نحو الله فَالْتَزَمَتْ.

❑ ❑ ❑

حوار بين متحجبة وسافرة:

كتب يقول:

شهدتُ ذات مرة حوارًا جميلاً بين فتاة متحجبة متزنة وسافرة فى غاية السفور والجمال والفتنة .. واستمعتُ إلى هذا الحوار بينهما:

المتحجبة: لماذا تُسفرين عن وجهك الجميل؟.. ولمَّ لا تصونين هذا الحُسْن والبهاء عن نظرات العيون وغمزات الجفون؟

السافرة: لأن الحجاب يحجب عن محيا النور والضياء، ولا يأذن لى أن أمتع ناظرى بما أبدع الله سبحانه من المحاسن والجمال .. وأن العين تود رؤية هذا الكون الفسيح على صورته الخلابة المضيئة لا من وراء حجاب.

المتحجبة: أمَا علمتِ بأن السفور والتبرج وإظهار المحاسن للغير يجعل العيون تختلس بعض النظرات، منها البريئة والساذجة، ومنها الماكرة والفاجرة .. وأن النظرة سَهْمٌ من سهام إبليس، وأن كل الحوادث مبدؤها من النظر.

السافرة: ولمَ لا يَغُضُّن الرجال أبصارهم عن رؤيتنا، والنظر إلى محاسننا، ألم يُؤْمَرُوا بغض الطرف عنا فى مَحْكَم التنزيل؟

المتحجبة: نعم لقد أُمِروا بغض البصر عن رؤيتنا، كما أمرنا ـ نحن معشر النساء ـ بغض الطرف عن الرجال إذا خِفْنَا على أنفسنا من الفتنة.

السافرة: إذًا لماذا لا يتحجبون عنا كما نحتجب عنهم؟

المتحجبة: لأن الشريعة لم تأمرهم بالحجاب.

السافرة: أليس هناك من تعليل لذلك أو حكمة؟

المتحجبة: نعم، لأن هناك فرقًا دقيقًا بين نظر النساء إلى الرجال، ونظر الرجال إلى النساء من حيث الخصائص النفسية للصنفين؛ لأن فى طبيعة الرجل الإقدام، فهو إذا أحبَّ شيئًا يسعى إلى إحرازه والوصول إليه، ولكن فى طبيعة المرأة التمنع والفرار، لحيائها.. ولأن الرجل هو الْمُعَوَّلُ عليه بالدرجة الأولى فى خوض غمار الحياة، وهو المكلَّف الأول فى كَسْب الرزق، أما المرأة فتبقى فى خِدْرِها مصونة مكرمة، وحسبها تربية أطفالها، إلا إذا اضْطُرَّتْ إلى العمل.

وكذلك فإن المرأة بطبيعتها الفطرية تتصف بالأُنوثة والفتنة، والرقة، وهو ما لم يَحْظَ به الجنس الآخر .. وهذه المحاسن وغيرها قد جعلت الجنس الأخر يميل إلى رؤيتنا .. لذا أمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ ـ أن نحتجب عن الرجال الأجانب، حتى نحفظ أنفسنا عن أبصارهم، وتتوارى محاسننا عن عيونهم.

السافرة: إنك تتحدثين عن محاسن النساء كأن جميع بنات حواء ملكات الجمال، أو هن كأحسن ما خَلَقَ الله وأبدع، فالحُسْن مُقَسَّمٌ بدرجات متفاوتة بين النساء، وإن كثيرًا منهن لا يلفتن النظر، ولا يَأْبَهُ لهن أحد.

المتحجبة: ألم تسمعى قول الله تعالى وهو يصف مكر النساء وكيدهن:

﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (*) ... فالمرأة تحب أن تلفت النظر إليها بكل وسيلة ـ إلا من رحم الله ـ فهذه تُبدى ذراعها العارية، ثم تسدل عليها العباءة أو الرداء، وتلك تبرق بوجهها ثم تسفره فى مكر وخداع، وأخرى تتعطر بما يثير من أذكى الروائح وأعبقها، وغيرها ترتدى الثياب الشفافة أو الضيقة التى تُجَسِّمُ أجزاء جسدها، فضلا عن "الماكياج" الذى يزيد من محاسن الحسناء، كما أنه يستر بعض معايب الأقل حسنًا.

السافرة: إذًا المكر فى النساء، أو فى بعضهن، فما ذنب الشباب إذا نظروا للنساء النظرة العابرة؟ ... لماذا لا تظنين فيهم بعض البراءة وسلامة القصد، ولا تعتقدين فيهم إلا الظن السوء؟

المتحجبة: فى الحقيقة إن المكر مشترك بين الرجال والنساء، وربما كان فى الرجال أقوى وأظهر ... ألم تسمعى بتجارة الرقيق الأبيض ـ أى النساء ـ فهناك بعض الرجال الذين يُزَيِّنُونَ لمعظم الشباب محاسن النساء ومفاتنهن .. إن هؤلاء الرجال يعرفون كيف يعبثون بعقولنا وأفئدتنا، وكيف يخدعوننا ليستغلوا جمالنا ومفاتننا وسذاجتنا، باسم الفن تارة، وباسم التقدم تارة أخرى.

السافرة: وما نصيب هذه الكلمات من الصحة؟

(*) سورة يوسف: ٢٨.

المتحجبة: أما تصدقين؟ ـ فَكِّرى مليًّا وانظرى: لماذا أقيمت مسابقات ملكات الجمال؟ .. ولماذا تقام حفلات عارضات الأزياء ولماذا تنتشر المجلات الفاجرة، والأفلام الداعرة والأغانى الماجنة، والنوادى المستهترة؟ ... كم من الساقطات سُلِّطَتْ عليهن الأضواء فدخلن الشُّهرة من أوسع الأبواب، وَوُصِفْنَ ـ زورًا وبهتانًا ـ بالفنانات، أو الكواكب والنجوم، وهن قد خَلَعْنَ رداء الحياء.

السافرة: ماذا تقصدين؟

المتحجبة: إن تلك المحاسن والمفاتن لهؤلاء وغيرهن يتوارى بريقها يومًا بعد يوم، والعمر ينقضى ويفنى الجمال حتى ينتهى إلى حفرة القبر، فكم ضمت هذه الأرض من وجه جميل، ومحاسن تقاطيع جسد فاتن .... أين هى الآن؟ لقد أكلتها الديدان وصارت رفاتًا بالية.

السافرة: يالله !! ألهذا الفناء المخيف تئول إليه أجسادنا الغضة الطرية؟ .. أحس قلبى يرتجف لتلك الكلمات المؤثرة، وأن فرائصى لترتعد خوفًا من هذا المصير... و .... و ...

المتحجبة: أرى دموعك تسيل على خديكِ .. وألمح لسانكِ وقد تلعثم عن تتمة الكلمات .. ماذا؟ ... ماذا؟

السافرة: اللهم إنى أتوب إليكَ من أىِّ تقصير قد بدا منى ... وإنى أعاهد الله تعالى أن أستر ما وَهَبَ لى من جمال .. وأحمد الله تعالى أن هدانى بِكِ، فأخذتِ بيدى قبل أن أغرق فى حساب عسير فى الآخرة .. فجزاكِ الله عن نصيحتى خير الجزاء.

المتحجبة: الحمد لله الذى أعاننى على خذلان الشيطان .. الحمد لله على نعمة الهداية إلى طريق الحق والخير(*).

❑ ❑ ❑

(*) المجلة العربية ـ عدد يوليو ١٩٨٥ (بتصرف).

أسرارنا ... لمن نبوح بها؟ (*):

لا تصدقى عندما يُقَالُ لكِ: "إن سِرَّكِ فى بير".

فما يخرج من قلبك ويفضفض به لسانك سيدخل فى أُذن صديقتكِ ـ ثم يجرى على لسانها، وستكون آلاف الآذان والألسنة فى الانتظار، وسينتقل سرك من قاع البئر إلى السطح ليشرب منه الجميع، ويغسلوا به أيديهم وأرجلهم، ويصنعوا من مائه حكايات يتناولونها مع شاى الصباح وقهوة المساء.

إذا قَرَّرْتِ أن تَبُوحِى بأسرار علاقتك الحميمة مع زوجك لجارتكِ، فأنتِ بطلة الفضيحة القادمة بلا منافس .... مثال ذلك تلك الحكاية :

هى فتاة جميلة، صريحة، عندما أصاب قلبها سهم "كيوبيد" صارحتْ أُمها بأن هناك شابًّا مَالَتْ إليه وسيتقدم للزواج بها ... كانت صدمة للأبوين، فهو شاب عادى، من أسرة متوسطة، وعلى الرغم من أنه يحمل مؤهلاً جامعيًّا ويعمل موظفًا بالحكومة وأمامه مستقبل طيب، فإن أهلها رفضوه ... فالأم كانت تحلم لابنتها الجميلة بعريس ثرى، أبن عائلة كبيرة، وصاحب مركز مرموق ومحترم.

ارتفع صوتها أمام والديها لتعلن "الحبُّ قبل المال" .. وأقسمت على أنها لن تقبل بغيره زوجاً لها، وتمسكتْ به فى تحدٍ وإصرار.

وبدأت مشوارًا طويلاً من المناقشات لإقناع الأبوين، ولم يفتر عزمها لحظة، بل ظل قلبها ينبض بالأمل إلى أن لانَتْ قلوبُ الأهل وتزوجته.

أخيرًا تحقق حلمها، ومضى عام تَبَدَّلَتْ فيه أحوالها .. شحبَ لونُها، وانخفض وزنها .. بدت شاردة طوالَ الوقت ... همستْ أُمها فى أُذنها وتساءلت: هل هى علامات تبشر بحادث سعيد؟!

أدارت وجهها بحياء وخجل بعيدًا عن أُمها، فقد كانت تحمل هَمًّا أكبر، فالشاب الذى عَصَفَ حبه بقلبها، وناضلت من أجل الزواج به، عَاجِزٌ عن القيام بواجباته الزوجية ... لمن تبوحُ بِسِرِّهَا؟

(*) من المعروف أن السر هو ما يكتمه الإنسان فى نفسه ولا يبوح به للآخرين ـ وأنه طالما أن أحدًا غير صاحبه عرف به لم يعد فى هذه الحالة سرًّا.

أتخبر أُمَّهَا الذى رفضته ألف مرة، أم تكتم السّرَّ فى قلبها، وخاصة أنه قد بدأ يُسىء معاملتها، ويعتدى عليها بالسَّبّ والضرب.

لم تجد سوى إحدى جاراتها لتبوح لها بسرها، بعد أن استحلفتها بالله أن يكون هذا سرًّا بينهما ..... ضربت الجارة بيدها على صدرها قائلة:

"عيب سِرّك فى بير" .... وما هى إلا أيام قلائل وبسرعة البرق وجدت سِرَّهَا ينتشر، ويظهر واضحًا فى عيون وهمسات النسوة من جاراتها فى العمارة التى تسكن فيها ... وانتهى الحال بها إلى الإصابة بانهيار عصبى، انتقلت على إثره لتُعالَج بإحدى المستشفيات.

وإزاء ما حدث قد يُطرح هذا التساؤل:

إذًا ... ماذا نفعل؟ ... هل نسكت ونختنق، وتظل أسرارنا مثل الحجر الثقيل فوق قلوبنا؟ .. أم نقول ونُعَرّى أنفسنا أمام الآخرين؟

صحيح، أن السّرّ مُرْهِقٌ ومتعب، وعندما يبوح الإنسان بسرّهِ يشعر بالراحة، لأن هناك مَنْ حَمَلَ العبءَ معه، فغالبًا ما يحتاج الإنسان إلى شخص آخر ليفضى إليه بأسراره حتى يستريح بعض الشىء .. ويريد منه أن يستمع إليه، حتى ولو لم يشارك فى حل المشكلات التى يعانى منها.

وهذا يوصلنا إلى تساؤل آخر:

كيف نختار الشخص الذى نبوح له بأسرارنا؟

نقول: يجب ألاَّ يقلَّ هذا الشخص عنا فى المستوى الفكرى والمعرفى، ويكون متدينًا، على خُلُق قويم، وأمينًا، وكتومًا، وقوىَّ الإرادة ... ومن المعلوم اننا عندما يقع اختيارنا على شخصٍ بعينه لمنحه أسرارنا، فهذا يعنى أننا نثق به ثقة مطلقة.

وجدير بالإشارة إلى أن التعميم فى قولنا: "إن المرأة لا تؤتمن على السّر" خَطَأ كبير فمن النساء من قد تكون أكثر كتمانًا من الرجل، فكما أن هناك المرأة الثرثارة، كذلك هناك الرجل الثرثار، ومن ثم فهناك رجل يُفشى أسرار الآخرين، تمامًا مثل المرأة التى تفشى أسرار الآخرين.. فنحن لا نفرق بينهما فى ذلك.

❑ ❑ ❑

درسان تعلمتهما من والدتى:

تذكر "هيلارى" زوجة الرئيس الأمريكى السابق "بيل كلينتون" أنها البنت الوحيدة مع اثنين من الأشقاء الذكور .. وأن والدتها كانت قاسية عليها فى أسلوب التربية منذ طفولتها الأولى .. وهى لا تنسى قيمة درسين تعلمتهما من والدتها:

الأول: عندما قامت إحدى صديقاتها بالاعتداء عليها بالضرب، وكانت آنئذٍ تبلغ من العمر أربع سنوات، مما دفعها إلى الاحتماء فى المنزل، لا تحاول الالتقاء بصديقتها الصغيرة التى ضربتها، غير أن والدتها قالت لها بكل حزم: لا يوجد فى بيتنا مكان للجبناء، مما دفع بهيلارى إلى التوجه إلى صديقتها لتظهر لها شجاعتها، وإمكانة الدفاع عن نفسها إذا سَوَّلَتْ لها نفسها أن تعتدى عليها مرة أخرى.

والدرس الثانى: هو الذى تعلمته بعد مباراة رياضية مع صديقة لها ماهرة فى الرياضة تدعى "مارى" ... فقد تمكنت "مارى" من هزيمتها هزيمة ساحقة كادت ـ بعدها ـ تفقد الثقة فى نفسها، مما دفع والدتها إلى أن تلقنها درسًا فى عدم الاستسلام لليأس، حيث أكدت لها أن الهزيمة ليست آخر المطاف، بل يجب أن تكون هى الدافع القوى، الذى يزيد من إصرارها على إحراز التقدم والتفوق.؟

❑ ❑ ❑

بعد سبع سنوات طلق بهدوء زوجته العذراء!:

تنصح إحدى السيدات(*) اللاتى يتمتعن بالحكمة وتعقل الأمور، تنصح الزوجات اللواتى ابتلين بعجز أزواجهن الجنسى بألاَّ يَتَوَانَيْنَ عن إخْبار أُمَّهَاتهن، فالأم هى أقرب الناس لابنتها، ومن ثَمَّ تقوم الأم بإطلاع زوجها ـ والد الزوجة ـ أو ولىّ أمرها، لبحث أمر إنهاء العلاقة فورًا من غير فضائح، فمن حق الفتاة أن تتمتع بعلاقة زوجية صحيحة ـ ومن حقها بالتالى أن تحلم بأبناء، ولذلك فإن إنهاء المشكلة فورًا يحل المشكلة.

(*) هى السيدة خولة العتيقى، رئيسة فريق العمل النسائى التابع للجنة الاستشارية العليا لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بالكويت.

إن المشكلة تكمن فى أن الفتاة فى مجتمعاتنا الشرقية المسلمة قد تسكت سنين طويلة، وقد تخفى عن أهلها عجز زوجها.

ومن المعلوم أن الرجل العاجز هو إنسان مريض يحس بالعجز، وينعكس ذلك سلبًا على حياته، حيث قد يؤذى زوجته ـ وقد يشك بها .. وقد يحول حياتها إلى جحيم لا يطاق، فتضطر إلى طلب الطلاق والانفصال عنه بعد أن تتحطم نفسيًّا وماديًّا.

وهذا يذكرنا بحكاية قد حدثت لابنة أحد الأصدقاء .. فقد تزوجت تلك البنت من شاب ينتمى لإحدى العائلات الشهيرة، وكان حفل زواجهما خياليًّا ... وذهبت مع زوجها فى رحلة عسل ـ كما يقولون ـ أسطورية، ولمدة طويلة ... بعدها عادت مع زوجها إلى عش الزوجية.

ومرت السنوات سنة بعد أخرى، والجميع يتساءلون عن الإنجاب ـ لماذا لم تحمل؟ ... أهى عاقر أم هو عقيم؟

وعلى هذه الشاكلة من الأسئلة ـ بعد سبع سنوات، أَصَرَّتْ أُمها بعد أن سئمت من اعتذار ابنتها على الكشف الطبى.

نعم ـ أصرت على اقتيادها إلى طبيب مشهور .. وبينما هى تشد ابنتها من يديها، كشفت لها ابنتها المستور ... كشفت لها الحقيقة المرَّة من أنها لازالت بكرًا عذراء لم يمسها زوجها، لأنه كان عاجزًا عجزًا لا علاج له منذ الصغر ...

وعلى الفور لم تتوانَ الأم والأب عن الذهاب إلى زوج العذراء، من أجل طلاقها .. وبالفعل استجاب بهدوء لطلبهما.

إن هذه الحكاية ـ وأمثالها كثير ـ تمثل ضحية شخص غير مسئول، لم يفكر إلاَّ فى نفسه.

❑ ❑ ❑

الودُّ القديم قد دُفن .. ولكن فى حنايا القلب!:

عندما يتم الطلاق ويتفرق أَحِبَّاءُ الأمس ينطبق عليهم قول الرافعى": إنَّ أَشَدَّ العداوة ما كانت بين الحبيبين، لأنها انشطار كيان واحد على نفسه بعد ما كان أحدهما يقول للآخر: "يا ـ أنا".

وتدور الأيام والسنون، ويظن كلاهما أن الوُدَّ القديم قد دُفِنَ وَوُورِىَ التراب، نعم دُفِنَ، ولكن دُفِنَ فى حَنَايَا القلب.

وفى تراث الإنسانية الضخم ما يؤيد هذه الرؤية من خلال هذه القصة، التى دارت أحداثها فى "النرويج"، وبطلها أحد الصيادين، الذى تزوج فتاة وعاش معها عشر سنوات ثم طلقها .... وبعد فراق دام عشرين عامًا، كان قد تخطى الخمسين من العمر، طالعَ ذات يوم إعلانا فى إحدى الصحف اليومية يرحب بنشر بيانات من يبحثون عن زوجات، أو من يبحثن عن أزواج، فى باب يسمى بـ"القلوب الوحيدة" ... وبالفعل نشر إعلانا ذكر فيه أنه وحيد، ولكنه مملوء بالحيوية، ويعيش فى غرب "النرويج"، ومغرم بالطبيعة والصيد .. وهو يبحث اليوم عَمَّنْ تشاركه حياته، وتُخرجه من وحدته التى يشكو منها.

وبعدها بأيام أرسلتْ إليه إحدى القارئات رسالة إليه ومعها صورة لها، تعرض عليه فيها أنها تريد أن تكون زوجته التى تشاركه حياته.

وعندئذ قال الرجل لنفسه وهو يحملق فى الصورة : لقد رأيتُ هذه المرأة من قبل، بل قد تبين له أنه لم يكن قد رآها فحسب، ولكن المفاجأة أنه قد عاش معها عشر سنوات.

نعم .. لقد كانت زوجته، هى بعينها .. والتقى الزوجان من جديد ليستأنفا معًا حياة بهيجة سعيدة.

ونعلّق على الموقف بمنظور الباحث الاجتماعى، فنقول: هذه القصة العجيبة ـ وهى من واقع الحياة ـ تشير إلى عدة حقائق نرجو أن يتأملها الزوجان اللذان يفكران ـ أحدهما أو كلاهما ـ فى الطلاق:

ـ مهما اختلف الزوجان وظَنَّا أنهما متنافران ولم يُخْلَقَا للعيش معًا .. فإن هناك عدة نقاط التقاء كثيرة، فليحرصا على ألاَّ يُسَلِّطَا الأضواء على ما يختلفان فيه، ثم ينسيان أو يهملان نقاط الالتقاء وأوجه الاتفاق.

ـ إن الحياة اليوم مَلأَى بنماذج كمثل هذين الزوجين، بعضهم قد تزوج ثانية، لكنه نَدِمَ على الزواج الأول.

ـ لعل هذين الزوجين قد نَدِمَا على ما كان من طلاقهما وانفصالهما، ولعلهما قالا: يبدو أن كُلاً مِنَّا كان قَدَرَ الآخر، ولعلهما تحدثا عن خلافاتهما التى كانت سببًا فى طلاقهما حديثَ سُخريةٍ وندم وحسرة.

نعم ... إنهما يريانها الآن أسبابًا تافهة حرمتهما العيش معًا تلك السنوات الطويلة .. فيا أيها الأزواج والزوجات ـ ولا سيما الشباب ـ تريثوا ولا تستعجلوا الطلاق، فمهما رأيتم الخلاف اليوم كبيرًا فسترونه بعد حين من الزمن صغيرًا، لا يستحق هذا المسلك الذى هدمتم به عش الزوجية ... واعلموا أن المودَّةَ "حَبَّة" قد تَغُورُ فى ماء الغضب يومًا، ولكنها تترسب فى القاع، ولا تزال سارية المفعول، صالحة للاستعمال.

❑ ❑ ❑

كيف تستطيع الفتاة الإفصاح عن عواطفها؟:

التقيت بها فى إحدى الندوات الأدبية .. فتاة جميلة، فى صوتها حياء، وفى كلماتها تردد، لا يزيد عمرها ـ فى الغالب ـ عن العشرين عامًا، قالت ـ وكأنها تغالب صراعًا يمتد إلى أعماق نفسها:

شعور جديد يهبُّ على حياتى، فيه عُنف العاصفة، ورقة النسمات الندية .. شعور يملأ عينى بالدموع، وجوانحى بالفرحة .. شعور غامض يجذبنى نحوه، ولكنه فى الوقت ذاته يَرُدُّنِى عنه، فأنا معه كالسابحة على موجة تتقاذفنى إلى الأمام تارةً، وإلى الخلف تارة أخرى .. ترانى مُتناقضة .. أليس كذلك؟

ولم تمهلنى لكى أَرُدَّ عليها، وإنما مضت فى حديثها، وقد زَايَلَهَا كثير من ترددها:

أليس هذا ما يسمونه الحب؟ .... وإذا لم يكن كذلك، فكيف أستطيع أن أتأكد؟ .. كيف يمكننى أن أقطع برأى؟ ... كيف أستطيع أن أجد اطمئنان النفس، وهدوء القلب، وراحة الضمير؟

ثم هزت برأسها، ومدت بعنقها، وهى تستطرد قائلة:

أخشى ما أخشاه هو تلك العواطف السريعة، الخاطفة، التى تلمع كالبرق، وتختفى كما يختفى البرق أيضًا!

فقاطعتها معلقًا: كلامٌ جميل .. إنْ دَلَّ على شىء، فإنما يدلُّ على العقل الراجح، والرأى السديد.

قالت: شكرا .. ولكنها التجربة .. والتى لا تستفيد من التجربة ماذا نُسميها؟ ... غبية .. طائشة .. حمقاء .. ولا أظننى إحدى هؤلاء.

قلت: ولكنك أصغر سنًّا من هذه التجربة التى تتحدثين عنها.

قالت: ليس من الضرورى أن تنتقل التجربة إلى عالم الواقع .. من الممكن أن يكون مسرحها داخل النفس وتظل قابعة فيه ... وهذا هو النوع الذى عرفته من التجارب .. التجارب الصامتة التى لا تبوح ولا تتكلم، ولكنها مع ذلك تترك بصماتها على النفس، وهذا ما دفعنى للحديث معك، فقد ضقتُ بهذه التجارب التى لم يكن حصادها إلا رمادًا، وأنا اليومَ أريد أن أعرف طريقى مع هذا الزميل الذى وصفت لَكَ حالى معه، وشعورى نحوه .. أريد أن أكون على يقين من خطواتى .. فلم تعد الخطوات المرتعشة تستهوينى، ولم أعد أجد لَذَّتى فى المجهول .. فهل هناك دليل أسترشد به لمعرفة حقيقة عواطفى نحوه؟ ... هل هناك مقياس سليم يُمَكِّنُنِى من معرفة الحب الصادق؟

قلت: الحقيقة ـ ياعزيزتى ـ أنه لا يوجد مقياس دقيق لذلك .. كل ما نعرفه هو بعض "الضمانات" التى تكفل لهذه العاطفة القوية أن تنمو وتزدهر .. فإذا كنتِ

تفكرين هذه المرة فى الزواج، فعليكِ أن تواجهى بعض الحقائق الأساسية التى تساعد على نمو الحب وازدهاره .. وهذا هو كل ما يمكننى أن أُقدمه إليكِ بدلاً من هذا المقياس الذى تريدين.

قالت: وما هذه الحقائق؟

قلت: موقفكِ مثلاً من الجاذبية والمزاج، وأقصد من ذلك جاذبيته لكِ .. وسامته .. أناقته، فلا شك أن هذه الصفات تلعب الدور المبدئىَّ فى جَذْبِ كل فتاة إلى فتاها ... وعندما تكونين معه تشعرين بأن كل شىء على ما يرام، وتشعرين معه بالراحة فى كثير من مواقفه الاجتماعية، وما يصدر عنه من تصرفات وسلوكيات، بل تشعرين بالفخر لما يصدر عنه من حديث أو من تصرف ...

ثم لم تلبث أن قاطعتنى مستفسرة، وهى تقول:

ولكن متى تستطيع الفتاة أن تفصح عن عاطفتها؟ ... إننى أُسائل نفسى: هل يمكننى كفتاة أن أُظْهِرَ حقيقة ما فى نفسى من إعجاب، وتقدير، واهتمام، وحب، لمن أحملُ له تلك المشاعر؟

ولم تمهلنى لأن أُجاوبها حتى استطردت تجيبُ عن نفسها بقولها:

لقد اكتشفت أن ذلك ليس سهلاً، خاصة فى مثل مجتمعنا، الذى لا يزال ينظر إلى الحب نظرة لا تخلو من عدم الرضا ـ ولا أقول الاستنكار ـ لأن علاقات الحب الطاهر الهادف، استطاعت أن تفرض وجودها واحترامها فى كثير من الأحيان.

قلت: إن مجتمعنا اليوم غيره بالأمس .. كانت المرأة فى الماضى تَحْبِسُ عواطفها، لأن الإفصاح عن الحب بالكلمة، أو التصرف، أو حتى البسمة، كان يُعَدُّ عملاً مخزيًا، جالبًا للعار، وكانت الفتاة التى تلبى نداء قلبها وتستجيب لإيماءة حُبٍّ ينكرها أهلها ومجتمعها، وربما أيضًا حبيبها ... ولكننا الآن تغيرنا .. أصبحنا نعبر عن آرائنا، ومعتقداتنا، وعواطفنا، ونختار طريقنا فى حرية ... وَنُظْهِرُ ذلك الإعجاب فى بساطة، ودون تعقيد، طالما كان ذلك فى إطار مهذب من الكلمات.

فهزت برأسها موافقة على رأيى، وهى تضيف قائلة:

نعم.. ولكن لماذا لا تتصرف المرأة كما يتصرف الرجل عندما لا يجد حرجًا أو عيبًا فى التعبير عن عواطفه؟ .. لماذا يُمنح هو حق التعبير والإفصاح، وتُحرم هى من ترجمة عواطفها إلى كلمات أو تصرفات؟!

قلت: أنا أعتقد أنه ليس هناك ما يمنع من إظهار العواطف الصادقة ... وأن تعبير الفتاة عن مشاعرها البريئة النابضة شىء جميل لا يدعو إلى الخجل أو العار، ولكن المشكلة هى: كيف تستطيع أن تُفصح عن العاطفة التى تنطوى عليها أعماقها، خصوصًا وقد قُوبلت من الأغلبية بعاصفة من الاعتراضات والانتقادات، عندما تحدثت عن مدى تقبلهم لفكرة إقدام المرأة على اتخاذ الخطوات الأولى نحو الرجل؟

وقال أحدهم: "أنا شخصيًّا إذا شعرتُ أن امرأة تسعى ورائى يُجَنُّ جنونى، ولا أرغب بعد ذلك فى معرفتها".

وقال آخر: "لا أتصور المرأة تعرض الحب على الرجل .. إنها فكرة تَنْفُرُ منها نفسى" ..

وقال ثالث: "يُخَيَّلُ إلىَّ أنها بذلك تتخلى عن أروع ما فى أُنوثتها، وهو الحياء" ..

وقال رابع: "تَمَنُّعُ المرأة وغموضها هو الذى يدفع الرجل إلى الرغبة فى الوصول إليها، فإذا فَقَدَتْ هذا العنصر فقدت أيضًا رغبة الرجل فى الارتباط بها".

.....

وبعد هذه الأجوبة .. أيقنت أن أغلبية الرجال لا يمكن أن يَتَقَبَّلُوا هذه الفكرة بطريقة صريحة، فى حين يمكن أن يتقبلوها بطريقة خفية، حيث تستطيع المرأة أن تجذبه إلى رباط الزوجية بوسائل غير مرئية .. تستطيع أن تقيده، ولكن بقيود حريرية تشبه الطوق الجميل حول العنق، ولكنه طوق اختاره هو بإرادته.

تستطيع المرأة إذًا أن تصل إلى بُغيتها بطُرقٍ أخرى غير طرق الصراحة فى التعبير، وإظهار العواطف، واتخاذ الخطوات الأولى .. وأعتقد أنها حتى إذا مُنحت ذلك

الحق، فما كانت لِتَقْدُمَ عليه .. فإذا كان الرجل ينفر من المرأة التى تبوح له بعواطفها وتدعوه إلى الارتباط بها، فإن المرأة أيضًا لا تحس السعادة ولا لذة أُنوثتها إلا إذا شعرت أن الرجل هو الذى أرادها واختارَها، وأنه بذل الكثير فى سبيل الوصول إليها ... المسألة إذًا ليست مجرد حقوق تُمْنَح .... إنها طبيعة إنسانية متغلغلة من العسير والتغلب عليها، وإن كان من المحتمل أن تتغير فى المستقبل.

وحتى يحين ذلك الوقت، فإن المرأة يمكن أن تُوَفِّقَ إلى حد بعيد بين رغبات قلبها وتقاليد مجتمعها بوسائل عديدة تحفظ لها مقومات أُنوثتها، واحترام ذاتها، وإقبال رجلها .. وفى ذلك تقول زوجة شابة:

"التقيتُ به فى بيت صديقتى، حيث كنتُ مدعوَّةً وإياه لحضور حفلة عيد ميلاد .. ومنذ ذلك اللقاء أدركت أنه رجل أحلامى، وأننى أتمنى لو أصبحت شريكة حياته وقامت بيننا بالفعل علاقة وُدٍّ مستكنة فى النفس .. ولكننى كنت أخشى دائمًا أن أفقده، وفى الوقت نفسه، لم أكُنْ أستطيع أن أُصارحه بحبى ورغبتى فى أن أعيش عمرى كله إلى جانبه، وهو من جهته كان لا يزال سلبيًّا غامضًا .. وفكرتُ طويلاً .. وفى النهاية اتخذتُ من صديقتى التى التقينا فى بيتها رسولاً ورابطة ـ دون أن أُشعره بذلك ـ حيث كنت أُوحى لها أن تدعونا معًا إلى بيتها، أو أن تقترح خروجنا معها وزوجها .. وهكذا استطعتُ أن أُوثق رباط المعرفة بينى وبينه، دون أن أَمْتَهِنَ كرامتى، وظللتُ فى ناظريه الفتاة الغامضة الصعبة القهر.

نعم .. لقد أَجَدْتُ القيام بدورى، وفُزْتُ فى النهاية به زوجًا .. ولكننى لم أعترف له بالخطوة التى رسمتها، فلست مجنونة حتى أعترف له فى المستقبل بشىء من هذا القبيل!".

فقالت مبتسمة: أهكذا تكون الاستمالة؟!

قلت: نعم .. إن الرجل مغرورٌ بطبعه .. إنه يحب أن يشعر أنه موضع إعجاب الجنس الآخر، وإظهار إعجابكِ بالرجل الذى تُريدين الوصول إليه سلاح سحرى

لا يُقاوَم ـ يكفى أن ترفعى نحوه نظرات تلمع إعجابًا، وهو يتحدث مثلاً عن إحدى إنجازاته.

إن الرجل الذى يلاحظ منك ذلك الإعجاب الصامت لابد أنه سيفكر فيكِ، ويتمنى الارتباط بكِ، أو على أقل تقدير لن يتجاهلك، أو يتجاهل إعجابك به.

وهناك طريقة أخرى تنفذ إلى قلب الرجل فى عُمق، هى أن تعرفى كيف تجيدين الإصغاء إليه ... ولستُ أقصد بالإصغاء ما يتصل به بمجرد الإعجاب، ولكن الإصغاء بطريقة صامتة توحى بالاهتمام.

والواقع أن كل امرأة يجب أن تتعلم "فن الإصغاء" ... يجب أن يكون إصغاؤها نابعًا من الاهتمام الشديد، وليس مجرد تظاهر بالإصغاء رغبةً فى الاستمالة.. فإذا اكتشف الرجل وجود فتاة يستطيع أن يتحدث معها بصراحة وفى عمق، وأن يفتح لها قلبه ويُفضى إليها بآلامه وآماله، ومتاعبه وأحلامه، فلابد أن تصبح هذه الفتاة بالنسبة إليه غاليةً أثيرةً، ولا يمكن أن يُفَرّطَ فيها.

كما أن هناك وسيلة أخرى للاستيلاء على قلب الرجل، وهى إشعاره بأنكِ دونه علمًا ونضجًا، وأنكِ تحاولين الاستزادَةَ منه والأخْذَ عنه ... ابحثى عَمَّا يجيد الحديث فيه، ويلمع فى إظهاره، واطرقى الموضوع، وابدى اهتمامًا بالمعرفة ـ وحاولى أن تسأليه أن يُعيرك كتبًا، أو أن يعطيك معلومات، أو أن يُعاونكِ على تقدير أهمية شىء تريدين امتلاكه ..... وبذلك يمكنك بحُجَجٍ وجيهة مقبولة أن تتيحى له ولنفسك طريق التعارف، حتى يكتشف كل منكما طبيعة وحقيقة شخصية الأخر .... ولا تنسى أبدًا أن الرجل يحب فى المرأة رقتها، وما توحيه إليه بالرغبة فى الحماية.

ولا تنسى أيضًا أنكِ إذا كنتِ اليوم تستطيعين اتخاذ خطوات نحو الرجل، فلابد أن تكون هذه الخطوات قصيرة ورقيقة ... ذلك أن الرجل سيظل أبدًا هو الرجل ـ مهما حدث من تطورات فى فكر المجتمع ـ أعنى سيبقى ذلك العاشق الذى يحب أن يشعر أنه نال حبيبته غِلاَبًا، وأنه هو الذى اتخذ نحوها كافة الخطوات، ومن الحكمة أن ندعه فى خيالاته السعيدة.

.....

ثم عادتْ، من حيث بدأنا الحديث، تسالنى عن مفهوم دقيق لعاطفة الحب، فقالت:

لقد كثر الحديث عن الحب فى أحاديث الإذاعة والتليفزيون، وفى الأفلام والتمثيليات والمسرحيات، ولكن الحديث الجاد عن الحب، والتحليل العلمى له، ما زال غامضًا ـ فما رأيكَ؟

قلت: الحديث عن الحب ليس أمرًا سهلاً على الإطلاق تلوكه الألسنة، لسبب بسيط، هو أن مجرد الكلام عنه، أو الإشارة إليه، أمرٌ مُسْتَهْجَنٌ ـ إنْ لم يكن مُحَرَّمًا عند البعض من الناس ـ مما قد يثير الارتباك والحيرة فى نفوس السامعين لمن يتحدث عن الحب، وعلى الأخص الحب بين الشباب والفتيات، فتلك طامَّةٌ كُبرى!!

ومن العجيب أن هناك بعض الآراء التى تَرَى أن هذا الموضوع لا يصلح للمعالجة العلمية، أو أن يكون فى إطار مادة تثقيفية يُبْتَغَى من ورائها السُّمُوُّ فى العلاقات بين الأفراد عمومًا.. ومن العوامل التى تجعل الحديث عن الحب صعبًا ارتباط الحب بالجنس، حيث قد دأب الناس على أن يقرنوا الحب بالجنس، فإذا قال أحد: إنى أحب هذه الفتاة، تبادر إلى أذهان بعض السامعين أنه يرتبط مع هذه الفتاة بعلاقة عشق تُسْتَحَلُّ فيه المحارم، أو على الأقل أنه يرغب فى معاشرة هذه الفتاة معاشرة جنسية .. رغم أننا لا ننكر أن حب الجنس هو أحد أشكال وصور الحب، ولكن إذا كان فى إطار مشروع يتبلور فى الزواج.

إن الحب ضرورة أساسية لنمو الإنسان؛ لأن الشخصية فى أية مرحلة من مراحل عمر الإنسان تنمو وتزدهر بالحب، فإذا افتقر الطفل مثلا إلى الحب، فإن كافة وظائفه النفسية: ذكاؤه، واستجاباته كلها تتأثر بالافتقار إلى الحب.. ومن ثم يكون الخطأ وعدم النضج هو عدم الشعور بالحب أو عدم التعبير عنه.

وإذا كان الحب هو علاقة سامية بين طرفين، فإن أية علاقة مشبوهة لا يمكن أن تُسمى علاقة حب، وإنما "علاقة نزوة" .. فعلاقة الحب الأصيل تتمثل فى سلوك

الإنسان نحو محبوبه، عن طريق شعوره بالمسئولية نحوه، والتى تتمثل فى مخافته لله تعالى من أن يقدم على ما يُغضبه، وما يدنس تلك العاطفة الرائعة.

ثم لم تلبث أن بادرتنى بسؤال آخر قائلة:

ما رأيكَ فى الكلمات المعسولة التى تتبادر إلى مسامعنا نحن الفتيات؟ .. وهل هى تنم عن الحب؟

قلت: الشخص الذى يلوك كلمة الحب فى فمه كمن يمضغ قطعة من اللبان، هو أقل الناس قدرة على الحب.

إن "الحب" الصادق كائن خجول، يعبر عن نفسه فى سلوكيات وتصرفات على استحياء، بل قد يكون بمجرد نظرة تفيض بمعانٍ تقصر عنها آلاف الكلمات ...

أجل .. الحب الصادق كائن عزيز، شديد الاعتزاز بذاته، لا يجد من الكلمات التى تسعفه ليعبر بها عن ذاته، بل يجد أحيانًا أن الكلام المزوَّق المنمق، والمعاد المكرر، من شأنه أن يبتذل هذه الذات، وأن يجعلها رخيصة...

الحب الصادق يُتَرْجَمُ إلى أفعال لا إلى كلمات، ويُفضل أن يثبت وجوده من خلال عطاء دائم، وتضحيات دائبة، ومشاركة فَعَّالة فى اهتمامات الطرف الآخر.

إن مأساة كثير من الناس أنهم ينساقون وراء الكلام المعسول، بل إنهم يتحرقون شوقًا إليه كما تتحرق الأرض المتشققة العطشى إلى الماء لترتوى به!

صحيح أن كل إنسان يحب أن يسمع كلمة حلوة، ويشرق كل كيانه وهى بسمعها، وهو لا يدرك ـ أو يرفض فى إصرار أن يدرك ـ أن من بين آلاف الكلمات المعسولة لا تَصْدُقُ إلا كلمات معدودة!

يجب أن نعلم أن أكثر الناس قدرةً على الكلام المعسول، هم أقلهم قدرةً على الصدق والحب والإخلاص.

إن نقطة الضعف هذه هى التى تجعل الإنسان ينخدع بالكلام المعسول، وهى التى تفقده القدرة على التمييز بين ما هو زائف وما هو أصيل، وهى التى تجعله يرتمى فى أحضان الزائف، ظَنًّا منه أنه الأصيل.

إن نقطة الضَّعْف هذه هى التى تجعل الإنسان يدفع الثمن غاليًا، عندما يقامر بكل قدرته على الحب، بكل كيانه، وبكل حياته على ورقة خاسرة.

ولذا فعلى الإنسان أن يكون حَذِرًا عندما يسمع فيضًا من الكلام المعسول .. عليه أن يتوقف وأن يفكر .. عليه أن ينصت إلى صوتٍ يأتى من أفعالٍ لا من أقوال، بعيدًا عن العاطفة الهوجاء التى تتبخَّر فى الهواء مع تلك الكلمات المعسولة.

❑ ❑ ❑

المراجـــع

- القرآن الكريم
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألبانى
- رأى الدين فى كل ما يهم المسلم المعاصر: د. محمد البهى.
- الإيمان والحياة: د. يوسف القرضاوى.
- دليل الطالبة المؤمنة: الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- أختاه، اقرأى حتى لا تُخدعى: أبو بكر جابر الجزائرى.
- المرأة المثالية فى أعين الرجال: محمد عثمان الخشت.
- لا تحزن: عائض بن عبد الله القرنى.
- فضل تربية البنات فى الإسلام: محمد على قطب.
- حياتنا الجنسية: د. طارق يوسف.
- قلب المرأة: إبراهيم المصرى.
- فى الطريق إلى الزواج: إبراهيم المصرى.
- حوار مع مجموعة فتيات: محمد كامل عبد الصمد.
- الحياة النورانية فى العشرة الزوجية: غادة طاهر.
- عش سليمًا بغير مرض: د. إبراهيم فهيم.
- حتى لا يحدث الحمل: د. رفعت كمال.
- إلى كل فتاة تؤمن بالله: د. محمد سعيد رمضان البوطى.

- الحب بين الزوجة والزوج فن له أصول وقواعد: نخبة من خبراء العالم المختصين.
- أنت والمتاعب التناسلية: سلسلة الكتاب الطبى ـ دار الهلال.
- حضارة الإسلام : العدد الثالث ـ المجلد الثالث.
- السعادة : ديفيد ليكن.
- كيف نختار أن نكون سعداء: د. ريك فوستر، ود. جريج هيكس.
- آكل .. إذًا أنا فى طريقى إلى النحافة: د. ميشيل مونتنيك.
- **دراسات وبحوث:**
- دراسة بعنوان : "فحوصات ما قبل الزواج" للباحث خالد البحيرى.
- بحث بعنوان: "الزى الإسلامى للمرأة ومزاياه"، للدكتور فاروق محمود مساهل.
- دراسة بعنوان: "كذب الرجال"، للباحث عمر طاهر.
- دراسة بعنوان: لماذا حارب الإسلام السحر: للدكتور يوسف القرضاوى.
- بحث عن حَبّ الشباب، أعده الدكتور جلال العنانى، أستاذ الأمراض الجلدية بطب القاهرة.
- **مجلات شهرية وأسبوعية وصحف:**
- المجلة العربية : عدد أبريل ١٩٨٥ ـ عدد يوليو ١٩٨٥.
- مجلة حياتك : عدد يناير ١٩٦٠.
- مجلة العربى"الكويتية": عدد ديسمبر ١٩٩٣.
- مجلة الاعتصام: عدد نوفمبر ١٩٧٧.
- مجلة الصدى "الإماراتية": عدد يوليو ١٩٩٩.
- مجلة الشرق الأوسط: ١٩٩٦/٦/١٢.
- مجلة الصحة والطب: ٢٠٠٠/٩/٢٣.
- مجلة العربى "الأهرام": ٢٠٠٠/١/١٢ ـ ٢٠٠١/٩/٨.

- مجلة البداية : ٢٠٠٢/٦/٢٤.
- مجلة زهرة الخليج: ١٩٩٨/٢/٧ ـ ٢٠٠٠/٤/١٥ ـ ٢٠٠٠/٨/٥.
- مجلة نصف الدنيا: ١٩٩٩/٨/٨ـ ٢٠٠٠/٦/١٨ ـ ٢٠٠٠/١٢/١٧.
- مجلة أكتوبر : ١٩٨٦/٩/٢٨ ـ ١٩٩٠/٧/١ ـ ١٩٩٠/٨/١٩ ـ ١٩٩٢/١/١٢.
- صحيفة اللواء الإسلامى : ١٩٨٩/٩/٢٨.
- صحيفة الهدف "الكويتية": ١٩٩٦/٨/١٧ـ ١٩٩٦/١١/٣٠.
- صحيفة الملتقى : ٢٠٠٠/٦/٦.
- صحيفة الأهرام ـ أعداد مختلفة.